النُّخب الثقافية والمنبر الحسيني
جدلية العلاقة ومعالم المستقبل

أ. منى إبراهيم الشيخ*

الشيخ باقر الحواج**

تمهيد

نهضة الإمام الحسين عليه السلام انطلقت في عام (٦١هـ)، لتبقى ما بقي الإنسان، وما بقي الليل والنهار.. تبقى بمبادئها وقيمها.. وتبقى بأهدافها ورسالتها، فثورة الحسين عليه السلام وُلدت وفيها من القابلية للديمومة والبقاء والإلهام والعطاء، وهذه خاصية فريدة لم تتوفّر في غيرها من الثورات.

ولقد هيّأت لبقائها وسائل وعوامل، وكان من وسائلها أن تظلّ قصّة كربلاء تتردّد باستمرار عبر منبر حمل اسم بطلها، وهو الإمام الحسين عليه السلام، فكان المنبر الحسيني الذي حمل على عاتقه أمانة كبيرة ومسؤولية عظيمة منطلِقاً من أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام نفسها، وحاملاً نفس رسالته، فصدح المنبر معرّفاً بالإسلام، وموضّحاً لمفاهيمه، وداعياً لسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، ومحذّراً من البدع والجهل والانحرافات.

وما كان من الناس بجميع شرائحهم إلّا الارتباط بالمنبر، والاستقاء من روافده، فكراً وأخلاقاً وعقيدةً وارتباطاً وانتماءً بالإسلام ورجاله، وظلّت هذه العلاقة قروناً من الزمن وطيدة وقويّة، فلم يستطع التنكيل بمرتادي المنبر ومحبّيه أن يفصلهم عنه،

---

* حوزة الغدير للعلوم الإسلامية/ البحرين.

** حوزة الغريفي للدراسات الإسلامية/ البحرين.

ولا ملذّات الدنيا أن تحجبهم عن نوره، إنّها علاقة فريدة توارثها جيل بعد جيل، وسقاها اعتقاد وإيمان وسيرة أئمّة ووصاياهم.

ولكن هذه العلاقة المستمرّة لم تمنع من أن تكون هناك أصوات وآراء تطرح علناً ـ ومن داخل البيت الشيعي ـ نقداً ومحاسبة للخطيب والخطابة، وعادة ما تصدر هذه الأصوات من النُّخب المثقّفة، وتُقابَل بمواقف وتعليقات من الجمهور أو من الخطباء، وقد يرسم هذا النقد وما يقابله من ردّة فعل نمطاً خاصّاً من العلاقة بين الطرفين.

وهذه الأوراق التي بين أيديكم تطرح جدلية العلاقة بين النُّخب المثقّفة والمنبر الحسيني، مع تحديد وصف المشكلة وطرح المعالجات والحلول، من خلال بيان أُسس ومعايير النقد البنّاء الذي ينبغي أن يُلتزم بها لرسم علاقة نموذجية تصبّ في الهدف المرجو، وهو تطوير المنبر الحسيني، كما أنّ أوراق البحث تطرح آليات التواصل بين النُّخب والمنبر الحسيني.

المحور الأوّل: المنبر الحسيني النشأة والأطوار

ويحسن هنا ذكر المعنى اللغوي وكذا المعنى المتبادر لمفردة المنبر تمهيداً لذكر بدايات المنبر الحسيني.

المعنى اللغوي: «**المِنبر: مِرقاة الخاطب، سُمّي مِنبراً لارتفاعه وعلُوِّه**»[1]، والجمع: منابر. و«**المنبر: (بكسر الميم) من نبرت الشيء: إذا رفعته**»[2]، وهو: «**المكان المرتفع في قبلة المسجد، ومعدّ ليخطب عليه الإمام**»[3].

وأمّا المعنى المتبادر والمراد من المنبر الحسيني، فهو تلك الأعواد التي يرتقيها

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص١٨٩.
(٢) قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ص٤٦٢.
(٣) فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص٤١٠.

الخطيب لينعى ويرثي الحسين عليه السلام، ويذكر المصائب التي جرت عليه وعلى أهل بيته بعد استشهاده، وبمرور الوقت تمّ التوسّع في الاستفادة منه، فلم يقتصر على مصيبة عاشوراء، بل شمل بقية مصائب الأئمة عليهم السلام، وما جرى عليهم.

نشأة المنبر الحسيني

وعند ذكر المنابر الحسينية يستحضر الذهن المجالس الحسينية، وهي التي تضمّ عدداً من أتباع أهل البيت عليهم السلام، يجتمعون بهدف استذكار ما جرى من مآسي ومصائب على أهل البيت عليهم السلام، ويحرصون على إقامة المجالس في أيام المصيبة، كأيام عاشوراء التي يُعبّرون فيها عن حزنهم العميق، وتفجّعهم الذي يتمظهر في بكائهم ونوحهم، ومن جهة أُخرى يُعبّرون عن ولائهم لأهل البيت عليهم السلام، ورفضهم للوحشية والبشاعة والأحقاد التي انتهت إلى قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبي نسائه بصورة بشعة يندى لها جبين الإنسانية.

ثمّ تطوّرت هذه الشعائر الحسينية إلى مدرسة سيّارة لأتباع أهل البيت عليهم السلام، تلبّي جميع الحاجات الثقافية والسياسية والعاطفية والاجتماعية[1].

ثم إنّ مبدأ النوح والبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام كان منذ ولادته، عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله خبر استشهاده من جبرئيل عليه السلام، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

أطوار المنبر الحسيني

التأسيس الحقيقي لتلك المجالس كان بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وتسيير أهل بيته على أقتاب المطايا من كربلاء إلى الكوفة والشام، فجاء التأسيس على يد الإمام زين العابدين والسيّدة زينب عليهما السلام اللذين ما ادّخرا جهداً في التعريف بالنهضة

(١) أُنظر: الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٥٦.
(٢) أُنظر: الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار: ج٧، ص٢١٤.

الحسينية والبكاء على شهدائها، فإنّ أوّل مجلس نصبه الإمام زين العابدين عليه السلام كان في الكوفة ثمّ في الشام، عندما خطب في ذلك الحشد، وأخذ ينعى أباه، ويُعدّد صفاته، ويبيّن مظلوميّته، والناس من حوله يبكون، فهذا أوّل مجلس عزاء أقامه الإمام زين العابدين عليه السلام في الجامع الأُموي[1]، ثمّ تعدّدت المجالس بعد ذلك عندما «**أقام أهل البيت عليهم السلام وبعض زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله ـ كأُمّ سلمة ـ مجالس العزاء في المدينة المنوّرة، عند رجوع عيالات الإمام الحسين ومعهم الإمام زين العابدين إلى المدينة**»[2].

ولم يترك الإمام زين العابدين عليه السلام فرصة إلّا واستثمرها؛ لتبقى قضية الإمام الحسين عليه السلام حاضرة في الوجدان، وليُذكّر الناس بمصاب الإمام الحسين عليه السلام، «**وبقي أهل البيت عليهم السلام يعقدون هذه المجالس كلّما أُتيحت لهم الفرصة، وخصوصاً في أيّام عاشوراء، ويحثّون شيعتهم ومواليهم على عقدها**»[3]، واستقطبوا الشعراء والرثاة لنعي الحسين عليه السلام وبيان مظلوميته، وذلك بعد سقوط الدولة الأُمويّة وقيام الدولة العباسية، لوجود الفُسحة التي أُتيحت للأئمّة وشيعتهم، فكان الإمام الصادق عليه السلام يشجّع الناس على إقامة تلك المجالس وإحيائها، ويطلب من الشعراء أن ينشدوا الشعر، ويرثوا الإمام الحسين عليه السلام[4].

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً...**»[5]، وكان الإمام الرضا عليه السلام ينصب العزاء في اليوم العاشر، كما ذُكر في قصته عليه السلام مع دعبل، وطلبه إنشاد الشعر والرثاء على الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وأمره بضرب الحجاب، حتّى يسمع أهل بيته، فأنشد دعبل تلك القصيدة المعروفة التي قال فيها:

(١) أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٩.
(٢) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٥٩ـ١٦٠.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٦٠.
(٤) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٩.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٨٤.

أفاطم لـو خلت الحسـين مجدّلاً وقـد مـات عطشـاناً بشـطّ فُـراتِ
إذاً للطمـت الخـدّ فاطـم عنـده وأجريـت دمع العـين في الوجنات[1]

ومرّت على الأئمة عليهم السلام ظروف صعبة، بحيث لم يكونوا يعقدون مجالس عزاء عامّة؛ نتيجة الوضع الذي كانوا يعيشون فيه من اضطهاد وتنكيل وملاحقة من قِبل الأُمويين والعباسيين؛ لذلك كانت أغلب المجالس تُعقد بصورة خاصّة.

واستلهم أتباع أهل البيت من أئمّتهم، واقتفوا آثارهم في عقد هذه المجالس، كلٌّ بحسب ظروفه، والفرص المتاحة له، فانتشرت المنابر والمجالس في أمكنة وبلدان مختلفة، كالهند وباكستان وإيران والعراق والشام، وغيرها من الدول العربية والإسلامية، ولقد كان لهذه المنابر دور كبير في تعريف الناس بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وجذبهم لقيمها ومبادئها ورجالها، بحيث أثّرت في قيام الثورات ضدّ المستعمرين والمستكبرين مستلهمين منه عليه السلام العزيمة والإرادة والمبادئ والأهداف.

ثمّ إنّ المنبر قد اتخذ أشكالاً متنوّعة ووسائل شتّى من: شعر، وكلمة، ورثاء، ولطم، وغيرها، وكلّما تقدّم الزمن تغيّرت الأشكال والوسائل الموصلة للخطاب الحسيني، وإن كان الموروث القديم ظلّ ثابتاً لم يتغيّر؛ إذ كانت وما زالت هناك جاذبية للمنبر والمآتم والحسينيات باستقطاب غالبية فئات المجتمع بمختلف انتماءاتها ومستوياتها العلمية، وخصوصاً في عشرة محرّم الحرام.

وقد ساهمت وسائل التكنلوجيا الحديثة من فضائيات وهواتف ومواقع تواصل إلكترونية في اتّساع رقعة الثقافة، وإيصال صداها إلى مختلف بقاع العالم، فأصبح الخطاب الحسيني يُنقل عبر هذه الوسائل بشكل مباشر، وصار بالإمكان مشاهدة الخطيب الحسيني والاستماع إليه وهو يرتقي المنبر ناعياً وخطيباً؛ ومن هنا تكون

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٥٧.

الحاجة ماسّة إلى الاهتمام بالمادّة التي تُلقى، وأن تكون منتقاة بشكل مدروس، وأن تكون مادّة علمية وغنية بالأفكار.

المحور الثاني: النُّخب الثقافية الدينية ومدى تأثيرها في المجتمع

المبحث الأوّل: ما المقصود من النُّخب الثقافية؟

١ـ تعريف النُّخبة: «**والنُّخبة: خيار الناس**»[١]، «**ويقال: جاءَ في نُخَبِ أصحابه، أي: في خيارهم... وفي حديث... المنتخبون من الناس: المنتقون**»[٢].

٢ـ تعريف الثقافة: أصل الثقافة في اللُّغة العربية مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثقف)، وتُطلق في اللُّغة على معانٍ عدّة، فهي تعني: الحذق، والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلّم، والإمساك بالشّيء، وإقامة اعوجاجه، والعلم[٣].

وأمّا تعريف الثقافة اصطلاحاً فهي: «**مجموعة المعارف والمعلومات النظرية، والخبرات العلمية المستمدّة من القرآن الكريم والسنّة النبوية، التي يكتسبها الإنسان، ويجدّد على ضوئها طريقة تفكيره، ومنهج سلوكه في الحياة**»[٤].

وقريب من هذا التعريف ما ذكره العلّامة الشيخ محمد صنقور لمعنى الثقافة من أنّها: «**منظومة المباني والقيم والعقائد والأعراف والمشاعر وأنماط السلوك، فالثقافة الإسلامية ـ مثلاً ـ تعني: منظومة المعتقدات والرؤى والمباني والضوابط والأفكار والأعراف والقيم التي أسّس لها الإسلام، فكان هو منبعها والمكوّن لها**»[٥].

وقد ذكر السيّد محمد باقر الحكيم توضيحاً لمفهوم الثقافة، حيث يقول عنها:

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٤، ص٢٧٩.
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٧٥٢.
(٣) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: ج١، ص٣٨٢ـ٣٨٣.
(٤) مصطفى مسلم، الثقافة الإسلامية.. تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدياتها: ص ١٨.
(٥) http://www.alhodacenter.net/upgrade/index.php?page=details&id=2610

«الحصن الحصين الذي يمكنه أن يحفظ للأُمّة والجماعة عقائدها وأخلاقها من جانب، ويمدّها بالروح المعنوية العالية من جانب آخر، ويُمسك جميع أطرافها، ويوحّدها في مسارها ومواقفها وأهدافها من جانب ثالث؛ لأنّها تُعنى بتفاصيل البناء الاجتماعي، وتمدّ جميع جوانبه وأبعاده بالتصوّرات والأُطر التي يحتاجها، سواء على المستوى السياسي، أم الاقتصادي، أم الاجتماعي، أم التنظيمي، أم الأمني، وعلى مستوى الشكل والمضمون والمحتوى»[1].

فقد تعدّدت المعاني لمصطلح المثقّف، فهل هو مَن يمتلك مخزوناً واسعاً من العلم والمعرفة، أو أنّه مَن يُطبِّق هذه المعرفة ويلتزمها سلوكاً بحيث تكون جزءاً من شخصيته؟

والجواب: أنّ المثقف «هو الإنسان ذو المعرفة والموقف الحضاري في آن واحد، ولا قيمة لقراءة كتاب، وسماع إذاعات، ومشاهدة مسرح أو سينما أو قنوات فضائية، ما لم يلتحم بذلك كلّه سلوكٌ يُعنى بالتطبيق الإيجابي والفعّال لكلّ ما حصّله المرء من معرفة»[2].

المبحث الثاني: دور أهل البيت عليهم السلام في تأهيل النُّخب الثقافية الدينية

لقد عمل أئمّة أهل البيت عليهم السلام على تأهيل وخلق نخبٍ تحمل على عاتقها الكثير من المسؤوليات، كما عملوا على أن تكون هذه النُّخب متخصّصة في العلوم التي تحتاج إليها المجتمعات.

وفعلاً، فقد تخرّج على أيديهم علماء في الكلام والعقائد والتفسير والفلسفة والفقه والطبّ والفلك وغيرها من العلوم، فمثلاً كان ابن عبّاس أُنموذج العالم المتبحّر في التفسير بفضل مصاحبته ومجالسته لأمير المؤمنين عليه السلام، فعن ابن عبّاس: «أخذ بيدي

(١) الحكيم، محمد باقر، دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج١، ص١٢١.
(٢) http://al-marefa.com/index.php/post/77

الإمام عليّ ليلةً مقمرةً، فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء، وقال: اقرأ يا عبد الله. فقرأت: (بسم الله الرّحمن الرّحيم)، فتكلّم لي في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر»[1]، كما أنّ هشام بن الحكم يُعدّ أُنموذجاً آخر تخرّج على يد الإمام الصادق عليه السلام، فأصبح عالماً متعلّماً بارعاً في المناظرات وعلم الكلام، ومن مناظراته مع إمام جامع البصرة مناظرة في الإمامة ظهر فيها علمه وبراعته، بحيث عجز إمام جامع البصرة عن مجاراته، ولـمّا سمع الإمام الصادق عليه السلام عن هذه الحادثة طلب من هشام أن يُسمعها إيّاه، فلمّا قصّ هشام ما جرى على مسامع الإمام، قال عليه السلام: «**يا هشام، من علّمك هذا؟ قلت: شيءٌ أخذته منك وألّفته. فقال: هذا ـ والله ـ مكتوبٌ في صحف إبراهيم وموسى**»[2].

فلا يُنكر دور هؤلاء الذين تمّت تربيتهم معنوياً وفكرياً وعقائدياً في ملء الفراغات التي تكون في هذا المصر أو ذاك، ولا يُنكر دورهم في استقامة المجتمع وتلبية احتياجاته الدينية.

المحور الثالث: النُّخب الثقافية والمنبر الحسيني

المبحث الأوّل: العلاقة بين النُّخب المثقّفة والمنبر

النُّخب الثقافية بالتعريف السابق هي شريحة من المجتمع متميّزة علماً ومعرفةً، ومنضبطة في سلوكها والتزامها، وعادّة ما يفرض هذا التميّز أن يكون صاحبه تحت المجهر، فيُحاسب ويُلاحظ من مجتمعه، وينتظر منه دوراً إيجابياً، ويعقد عليه الآمال، ومن هذه المساحات والمواضيع التي يُلاحَظ فيها المثقّف هي طبيعة علاقته بالمنبر الحسيني، وهل هي مبتنية على تواصل أو قطيعة أو بين هذه وتلك؟ أي ليس هناك حالة ثابتة ودائمة، وإنّما هي متذبذبة بين تواصل تارة وقطيعة أُخرى.

(١) الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ: ج١٠، ص٥٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٧٠ـ١٧١.

وبعبارة أُخرى: هل العلاقة تعتمد على ظروف وحالات خاصّة، كشخصية المثقّف، وطبيعة الخطاب، وشخصية الخطيب؟

يبدو ممّا يترشّح من الواقع وما يفرزه من مواقف وأُطروحات هو الجواب الثالث، فأحياناً نرى أنّ شخصية المثقّف مرتبطة عاطفياً وفكرياً بالمنبر الحسيني منذ صغره عبر التربية الأُسرية، واليوم وبعد أن كبرت هذه الشخصية في علمها وهمومها وأهدافها، وأصبحت يُشار إليها بأنّها من النُّخب المثقّفة، فمن الطبيعي أن لا تظهر بمظهر القطيعة والتباعد، فتارة تُشارك في المنبر مواظبة على الحضور، وهذا نوع من أنواع التواصل، وتارة تقدم أُطروحات ودراسات وبحوث، وأُخرى تُشارك في محاضرات وندوات ونقاشات وملتقيات وورش عمل؛ من أجل دعم المنبر وتطويره.

وفي المقابل، هناك نُخب يقصر نظرها ويضيق أُفقها، وقد تجد أنّ المنبر لا يقدِّم جديداً، ولا يُضيف إليها معرفة، فتعزف عن الحضور، وعن مساندته، ولا تتقدّم بمبادرات إيجابية، بل أحياناً ـ ومع الأسف الشديد ـ قد لا تكتفي بالنأي بنفسها فقط، وإنّما تقوم بتضعيف المنبر في نظر المجتمع، وهذه أعلى صور القطيعة والهجران، وقد تُعلّل ـ تلك النُّخب ـ فعلها هذا بأنّه من أجل تطوير المنبر ورسالته الدينية.

إذاً؛ قد تكون هناك علاقة وتواصل من قِبل بعض النُّخب المثقّفة، وقد تكون قطيعة وهجران من قِبل نُخب أُخرى، مع أنّ مستوى المنبر والخطاب واحد، وإنّما تغيّر الموقف لتغيُّر النظرة والأُفق والهموم.

وكما أنّ العلاقة تعتمد على شخصية المثقّف، فكذلك تحدّدها شخصية الخطيب، في أخلاقه، وسعة صدره، وسماحته، وتقبّله للنقد، وغيرها من الصفات التي لها دور كبير في ارتباط أفراد المجتمع ـ بجميع مستوياتهم ـ بالمنبر الحسيني، وانفتاحهم عليه، بينما الخطيب الذي يضيق صدره من النقد والملاحظات، ويُبدي ردود فعل سلبية على أيّ نقد، فإنّه يُساهم في خلق انطباع سلبي عن المنبر، يُفضي ـ في نهاية المطاف ـ إلى قطيعة بين النُّخب الثقافية والمنبر الحسيني.

وكما أنّ لشخصية الخطيب دوراً هامّاً في جذب الناس إلى المنبر، فكذلك نوع خطابه وموضوعه، فإنّ لهما دوراً في التواصل أو القطيعة مع المنبر، وسنسلّط الضوء على هذه النقطة في المبحث الثالث.

إذاً؛ العامل الأساسي في تجسير العلاقة أو قطعها مع المنبر الحسيني هو الخطيب والمثقّف، فإذا اتفقت إرادتهما على العلاقة والتواصل فستتحقّق، وإلّا فستكون القطيعة هي البديل لتلك العلاقة.

المبحث الثاني: الصوت النُّخبوي الناقد بناءٌ أم هدمٌ للمنبر؟

هناك جدلية طرفاها رأيان، الأوّل: ضرورة تقييم المنبر ونقده، والثاني: خطورة التقييم والنقد. فالرأي الأوّل ينطلق من قاعدة أنّ التقييم إثراء وقوّة للمنبر، وليس إضعافاً له، وأنّ النقد محفّز لتطوير المنبر الحسيني أُسلوباً وموضوعاً، بينما الرأي الثاني يعتبر المنبر الحسيني خطّاً أحمر لا يصحّ المساس به، والتعرّض له، والاقتراب منه نقداً ومحاسبةً، وعلى حدّ زعم أصحاب هذا الرأي فإنّ السماح لنقد الطرح المنبري يُضعف المنبر، ويفتح شهيّة المغرضين وأعداء المنبر للنيل منه، وفصل الناس عنه.

وتولّد من هذين الرأيين السؤال التالي: هل النقد بناء أم هدم للمنبر؟

وحقيقة الأمر أنّ هناك معايير ومواصفات لكليهما (النقد البنّاء، والنقد الهدّام)، فإذا توفّرت معايير النقد البنّاء فهو ضرورة للمنبر، وإذا توفّرت مواصفات النقد الهدّام فهو خطورة على المنبر، وبملاحظة الواقع فإنّ كلا النوعين من النقد موجود، فليس كلّ نقدٍ مطروح بنّاءً، وليس كلّ نقد مطروح هدّاماً.

ولذلك؛ ينبغي توفّر النقد البنّاء على ما يلي:

١ـ النقد البنّاء هو النقد الذي يكون علمياً وموضوعياً، بحيث يبيّن الناقد الإيجابيات ونقاط القوّة، كما يبيّن السلبيات ونقاط الضعف، ويطرح سُبل علاجها.

٢ـ أن يحرص الناقد على بيان أنّ نقده ينطلق من نوايا صادقة ومخلصة تهدف إلى

تطوير المنبر، لا النيل منه ومن الخطيب.

٣ـ أن يتحلّى بأُسلوب راقٍ ومهذّب، بعيداً عن الفظاظة والغلظة في القول والألفاظ.

٤ـ أن يكون عن علم ومعرفة فيما ينتقد.

ويمكن أن نتلمّس بعض هذه المعايير في كلمة العلّامة السيّد عبد الله الغريفي التي ألقاها قبل موسم عاشوراء سنة (١٤٤٠هـ)، وتحدّث فيها عن محاسبة المنبر وصفات الناقد، قائلاً: «**نُحاسبه في ضوء هذه المكوِّنات:**

ـ هل استطاع إحياء مأساة عاشوراء؟

ـ هل استطاع إحياء مفاهيم عاشوراء؟

ـ هل استطاع إحياء قِيَم عاشوراء: (القِيم الروحية، والأخلاقية، والسلوكية)؟

إذا كان كذلك، فهو ناجح، وإلّا فهو فاشل جزئياً، أو كلّياً»[1].

مَن يحقّ له نقد المنبر؟

ثمّ أنّه لا بدّ فيمَن يوجّه النقد أن يتحلّى بما يلي:

١ـ الطرح المعتدل والواعي والصادق، البعيد كلّ البعد عن الأغراض الدنيوية، كطلب الشهرة أو إظهار الأنا أو العشيرة أو المأتم والحسينية أو المنطقة، والبعيد ـ أيضاً ـ عن الحسد والضغينة والعداوة من أجل إسقاط الآخرين.

٢ـ «**أن يمتلك النّاقد للممارسات العاشورائية وعياً وفهماً وثقافة، فلا يصحُّ أن يمارس نقداً تاريخياً مَن لا يملك ثقافة تاريخية، ولا يصحُّ أن يمارس نقداً عقيدياً مَن لا يملك ثقافة عقيدية، ولا يصحُّ أن يمارس نقداً فقهياً مَن لا يملك ثقافة فقهية، ولا يصحُّ أن يمارس نقداً علمياً مَن لا يملك ثقافة علمية، ولا يصحُّ أن يمارس نقداً حقوقياً مَن**

(١) موقع العلّامة السيّد عبد الله الغريفي: http://www.alghuraifi.org/n1102

لا يملك ثقافة حقوقية، ولا يستطيع أن يمارس نقداً سياسياً مَن لا يملك ثقافة سياسية، وهكذا لا مشكلة في نقد أيّة فعّالية عاشورائية، بشرط أن يمتلك النّاقد ثقافة النّقد لهذه الفعالية»[1].

ومن خلال هذه المعايير للنقد البنّاء تتّضح معايير النقد الهدّام، وهي التي تتّسم بعدم الموضوعية، وتبتعد عن الأُسلوب الراقي، وتتجرّد من النوايا المخلصة، ولا تكون عن علم، بل عن جهل وبساطة وانعدام وعي. والحقيقة أنّ أصحاب النقد البنّاء يقدّمون خدمة كبيرة للمنبر، بينما أصحاب النقد الهدّام يقفون في مواجهة رسالة المنبر وهدفها.

المبحث الثالث: نحو علاقة نموذجية بين النُّخب والمنبر

بعد أن تمّ التطرّق في المبحثين السابقين إلى نحوين من العلاقة مع المنبر: الأُولى هي التواصل، والأُخرى هي القطيعة، وإلى قسمين من النقد: الأوّل هو البنّاء، والثاني هو الهدّام، يجدر بنا الآن أن نعالج المشكلة بالرجوع إلى أسبابها وجذورها، فبعض هذه الأسباب تحت اليد، وبمقدور المتصدِّين والمهتمِّين بالشأن المنبري أن يُساهموا في بناء العلاقة بين النُّخب الثقافية وبين المنبر الحسيني، بأن يؤسّسوا لعلاقة نموذجية متينة ومستدامة.

وبما أنّه في المبحث الثاني قد خلصت إلى أنّ الطرفين الرئيسين هما الخطيب والمثقّف، فالعلاقة النموذجية لا تتحقّق إلّا من خلال إرادتهما وجهودهما معاً، أي: إنّ المسؤولية تقع بالدرجة الأُولى على عاتقهما.

فالسؤال الذي يُطرح في المقام هو: ما هي مسؤولية الخطيب والنُّخب في خلق هذه العلاقة النموذجية؟

---

(١) المصدر السابق.

أولاً: مسؤولية الخطيب

١ـ أن يعي الخطيب أنّه يرتقي منبراً أسّس له الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، ليناط به دور كبير، وهو تربية الأُمّة وإعدادها، وربطها بالإسلام ومفاهيمه وتشريعاته وأُصوله، فوعي الخطيب لحجم المسؤولية يفرض عليه أن يكون بمستوى المسؤولية وحجمها، بحيث يُؤهّل نفسه ويُعدّها إعداداً كافياً قبل أن يجلس أمام الناس ويحدّثهم.

٢ـ أن يمتلك الخطيب منهجية علمية في عرض موضوعه، يكون من خلالها قادراً على إدارة محاور بحثه وترتيبها وربط بعضها بالبعض الآخر.

٣ـ أن يتميّز طرحه بأُسلوب شيّق جذّاب سلسٍ ومفهومٍ لجميع فئات المجتمع.

٤ـ أن يلامس هموم الناس ومشاكلهم الاجتماعية مع تدعيمها بطرح المعالجات والحلول.

٥ـ أن يتمتّع الخطيب بخُلقٍ رفيع، من تواضعٍ وسعة صدر ولين عريكة.

٦ـ أن يكون منفتحاً على أيّ تقييم بنّاء، وأن يستقبل الملاحظات، ويتواصل مع أصحابها.

٧ـ أن يلتزم بوصايا وإرشادات مراجع الدين الأعلام الموجّهة للخطباء.

٨ ـ أن يستشير الخطيبُ النُّخبَ المثقّفة المهتمة بالشأن المنبري في عناوين البحث قبل الموسم، ويمكن أن يعقد جلسة خاصّة بعد الموسم بشأن طرحه وعناوين بحثه.

ثانياً: مسؤولية النُّخب المثقّفة

١ـ أن تعي النُّخب المثقّفة أنّ المنبر من أفضل الوسائل لنشر المعارف وتوعية الأُمّة وتثقيفها، فلا تفكّر في استبدال هذه الوسيلة بوسائل أُخرى، ولا تعزف عن حضور المنبر.

٢ـ أن تتقرّب النُّخب المثقّفة من الخطيب، وتسانده في مسيرته الخطابية، بأن تشجّعه على البحث العلمي، وتُثني عليه في مواطن الثناء، وتقدّم له الملاحظات في مواطن الخلل والنقص.

٣ـ أن تتوخّى النُّخب المثقّفة الأُسلوب الراقي في النقد، وتبتعد عن أُسلوب التعالي.

٤ـ أن تبادر النُّخب المثقّفة إلى تقديم المقترحات بشأن العناوين والمواضيع إلى الخطيب؛ لتكون له عوناً وداعماً.

المبحث الرابع: آليات التواصل ودور النُّخب الثقافية الدينية لدعم المنبر الحسيني

قمنا باستطلاع رأي حول آليات التواصل والدور المرجو من النُّخب الثقافية لدعم المنبر الحسيني، وقد قدّمت العيِّنة المشاركة تصوّراً للدور المرجو، ومجموعة من الآليات يضمن العمل ببعضها ـ فضلاً عن جميعها ـ تحقيق الكثير من الفوائد والنتائج الإيجابية، وإيماناً منّا بعملية هذه الآليات وواقعيتها وفائدتها؛ نذكر أهمّها مع تصرّف بسيط، وهي كما يلي:

١ـ تخصيص قنوات مباشرة كالمؤسّسات، أو قنوات إلكترونية؛ للتواصل بين الطرفين، واستقبال المقترحات.

٢ـ عقد الدورات والورش التي يحتاج إليها الخطباء لمعرفة أُصول الخطابة وأساليبها.

٣ـ عقد اجتماعات دورية بين الفينة والأُخرى لتقييم أداء الخطباء.

٤ـ إعداد لجنة من النُّخب المثقّفة تكون حلقة وصل بين المنبر والجمهور، فتقدِّم توصياتها واقتراحاتها للخطباء، وفي نفس الوقت تقوم بتوعيه الجمهور.

٥ـ أن تكون المآتم إحدى أهمّ آليات التواصل، وملتقى لحلقات نقاشية تشاركية

بين الخطيب والنُّخب المثقّفة، كما يمكن مشاركة الخطيب لتلك النُّخب في اختيار الموضوعات المطروحة بما يتناسب واحتياجات فئات المجتمع.

٦ـ عقد مؤتمرات سنوية وورش عمل طوال السنة ـ وليس فقط قبيل شهر محرّم ـ للخروج بتوصيات عملية، والعمل على تفعيلها.

٧ـ اعتماد مناهج بحث وأُطروحات معتدلة تُوازن ما بين المعقول والمنقول في تتبّع واقعة عاشوراء، والمحافظة على عاطفية المناسبة، والتعامل مع الواقعة كنموذج عاطفي إنساني وجداني، من خلال إيجاد حدّ نصاب موحّد يُناسب الفطرة الإنسانية السليمة ومقتضياتها في التعامل العاطفي المعتدل مع الواقعة، والبعيد عن جانبي الإفراط والتفريط.

الخاتمة

المنبر الحسيني أحد روافد المعرفة، وينابيع الوعي، ومنافذ النور، فقد أدّى دوراً هاماً في إعداد الأُمّة وتربيتها وتوجيهها وربطها بالإسلام، وهذه حقيقة لا يمكن القفز عليها وإنكارها؛ ولذلك من الخطأ الفادح أن تكون هناك قطيعة مع المنبر، وعزوف عن الارتباط بالمجالس الحسينية، ومن الخطأ الكبير أن يفكّر البعض بإلغائه واستبداله بوسائل أُخرى، ومن الشطط البالغ أن يُضعّف بنقد هدّام وغير موضوعي، فالأُمّة الواعية هي التي لا تتخلّى عن مصدر قوّتها، والنُّخب الواعية هي التي تعمل على إبقاء مصدر وعيها وقوتها وديمومته وتقويته.

ولا يُنتظر من النُّخب المثقّفة ذات النهج الإسلامي إلّا أن تكون من دعائم المنبر وروافده، من خلال الكلمة الطيّبة، والنقد الموضوعي البنّاء؛ حتّى تزداد شعلة المنبر توهّجاً، وتتسع رقعة نوره إلى أبعد مدى.

نتائج استطلاع الرأي

تضمّن استطلاع الرأي أربعة أسئلة لغرض معرفة علاقة النُّخب الثقافية بالمنبر الحسيني، ومدى تأثّرها به، وتأثيرها فيه، وصولاً لتقوية العلاقة مستقبلاً.

فكان عدد المستجيبين للاستطلاع (٩٢) شخصاً.

المستـــوى العلمي							
بكالوريوس	ماجستير	ثانوية	دكتوراه	حوزوي	دبلوم عالي	دبلوم	دبلوم محاسبة ودراسات حوزوية
٤٨	١٢	١٩	٩	١	١	١	١
٥٢,٢٪	١٣٪	٢٠,٧٪	٩,٨٪	١,١٪	١,١٪	١,١٪	١,١٪

البـــلد				
البحرين	السعودية	لبنان	العراق	الخليج
٧٠	٤	١	١٦	١

الجنـــس	
ذكر	أنثى
١٥,٢٪	٨٤,٨٪

السؤال الأوّل: ما نوع العلاقة بين النُّخب المثقّفة والمنبر الحسيني برأيك؟ هل هي علاقة تواصل أو قطيعة؟

وقد أجاب المشاركون إجابات عدّة، أهمّها:

١ـ هي علاقة تلاقي وتقييم وإرشاد، فتكون تواصلية، حتّى وإن ظهرت بمظهر التباعد.

٢ـ اعتقد أنّها علاقة تواصل إذا كان الطرح الحسيني واقعياً، والجيل المثقّف واعياً.

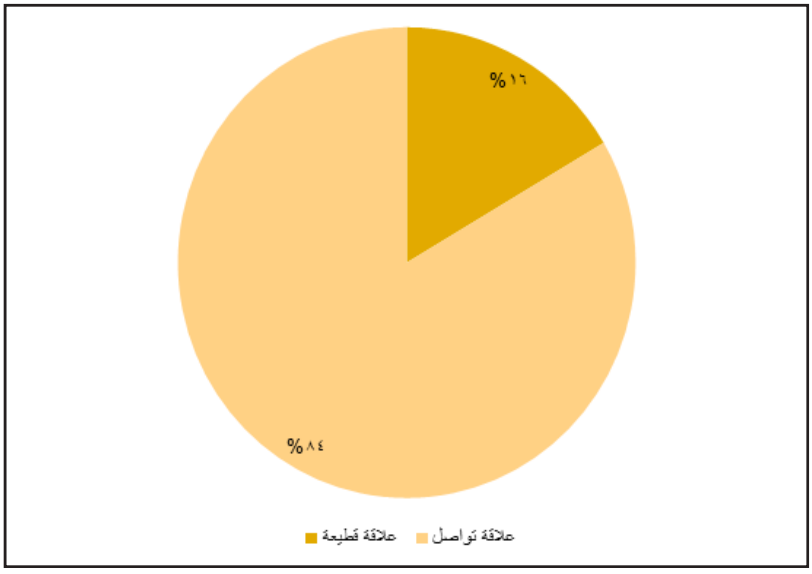

٣ـ هي علاقة اصطدام بحذر، تجعله في حدود المقبول، وغير خطير في المدى المنظور، كما تجعل الاصطدام يظهر أحياناً بمظهر الفتور الذي قد يُفهم أنّه قطيعة، فالعلاقة لا هي بمستوى التواصل المطلوب، ولا هي بمستوى القطيعة التامّة.

السؤال الثاني: هناك قسمان لنقد النُّخب المثقّفة للمنبر الحسيني: (نقد بنّاء، ونقد هدّام)، ما هي مظاهر وأمثلة كلّ منهما؟

معظم الإجابات اختارت النقد البنّاء، وقد تمّ ذكر أهمّ الأمثلة والمظاهر لكلا النقدين، فأمّا بخصوص النقد البنّاء فقد جاء ما يلي:

١ـ يكون ببيان الإيجابيات، والحثّ على استثمارها خير استثمار، وبيان مواطن الضعف، وتشخيص سُبل علاجها، أمّا النقد الهدّام فهو يركِّز على السلبيات والسخرية، وإغفال النقاط الإيجابية الموجودة.

٢ـ لا أعتقد بأنّ النُّخب المثقّفة تنتقد نقداً هدّاماً، ولكنّها تبيِّن رأيها ووجهة نظرها، وربّما المشكلة الأكبر أنّ الخطباء يركّزون على جانب الرثاء، وخصوصاً أيّام محرّم، مهملين جانب التثقيف؛ لذا نـحتاج إلى إقامة دورات تدريبية وتأهيلية للخطباء في

كيفية اختيار المواضيع، وكيفية طرحها، وضرورة أن يكون الخطيب ذا ثقافة حوزوية وأكاديمية إلى حدّ ما.

٣ـ على المثقّف أن يطرح الأسئلة والاستفسارات بطريقة مهذّبة، وبأُسلوب علمي، بحيث يبتغي بذلك المعرفة والتعلّم، وليس التعنّت، وذلك بطريق مباشر إذا أمكن ذلك، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أمّا فيما يرتبط بالنقد الهدّام فقد جاء ما يلي:

١ـ نقد الخطيب ـ بصورة فظة ـ مباشرة، أو في وسائل التواصل.

٢ـ النقد في المجالس الخاصّة التي يهدف من خلالها المثقّف إلى التفاخر بثقافته عن طريق الانتقاص من بعض الخطباء.

٣ـ انتقاد الخطيب في مواضيع يكون المثقّف غير ملمّ بها إلماماً تامّاً.

٤ـ انتقاد الخطيب في أشياء هامشية وغير مهمّة، ككلمة أو حركة معيّنة صدرت في موقف ما.

٥ـ هناك فئة من النُّخب المثقّفة تنظر إلى المنبر الحسيني نظرة متعالية، وتعتبره وسيلة قديمة وغير متحضّرة.

السؤال الثالث: كيف نجعل العلاقة نموذجية بين النُّخب والمنبر؟

وجاءت الإجابات كالتالي:

١ـ أن يكون المنبري قدوة للآخرين، ومشاركاً للناس في همومهم، ومتحدِّثاً عن مشاكلهم، لا أن يكون كلامه نظرياً فقط.

٢ـ أن يرتقي الخطباء بأفكارهم وأساليبهم لجذب الناس.

٣ـ أن يسعى الخطباء لملامسة احتياجات الناس وتساؤلاتهم، وأن يحترموا عقولهم وثقافتهم بتقديم ما يُفيدهم من مصادر موثوقة.

٤ـ أن يكون الخطيب ملمّاً إلماماً تامّاً بالموضوع الذي يطرحه، وإلّا فليتجنّب طرحه.

٥ـ أن يحاول المثقّفون الواعون نشر أُسلوب النقد البنّاء للمنبر الحسيني.

٦ـ أن يتمّ طرح موضوع كيفية النقد البنّاء للمنبر الحسيني من قِبل الخطيب نفسه.

السؤال الرابع: ما هي آليات التواصل بين الخطباء والنُّخبة؟ وما هو الدور المرجو من النُّخب الثقافية الدينية لدعم المنبر الحسيني؟

وقد تقدّمت الإجابة عن هذا السؤال في المبحث الرابع.

المصادر والمراجع

١ـ الاحتجاج، الشيخ أحمد بن علي الطبرسي، تعليق وملاحظات: السيّد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦.

٢ـ بحار الأنوار، العلّامة محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣ـ الثقافة الإسلامية.. تعريفها، مصادرها، مجالاتها، تحدّياتها، د. مصطفى مسلم، وفتحي محمد الزغبي، الشارقة (مكتبة الجامعة)، عمان (إثراء للنشر والتوزيع)، ٢٠٠٨م.

٤ـ دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة، السيّد محمد باقر الحكيم، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٥ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسّسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٦ـ الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ.ش.

٧ـ لسان العرب، محمد بن مكرم المشهور بابن منظور، نشر: أدب الحوزة، محرّم ١٤٠٥هـ.

٨ـ مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، ١٤١٩هـ.

٩ـ معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله، مطابع المدوخل، الدمام، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٠ـ معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١ـ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ.

١٢ـ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، وبمساعدة السيّد محمد كاظم الطباطبائي، والسيّد محمود طباطبائي نژاد، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

١٣ـ موقع العلّامة السيّد عبد الله الغريفي: http://www.alghuraifi.org/n1102

١٤ـ http://www.alhodacenter.net/upgrade/index.php?page=details&id=2610

١٥ـ http://al-marefa.com/index.php/post/77